

الأمثال القرآنية المضروبة في أعمال المشركين

دراسة عقديّة

الدكتور ساري محمد الضروس

محاضر غير متفرغ ، الجامعة الاردنية،كلية الشريعة

الدكتور طلال مشافي النعيمات

محاضر غير متفرغ ،الجامعة الاردنية ، كلية الشريعة

talalkooo@yahoo.com

الأمثال القرآنية المضروبة في أعمال المشركين

دراسة عقديّة

الملخص

تُعَدُّ عقيدة التوحيد الأساس الفاصل بين الإيمان والشرك، ولما كان البناء الإسلامي كله يقوم عليها فقد عني القرآن بتأسيس ذلك وتوضيحه غاية التوضيح، وقد تنوعت أساليب القرآن في توصيل رسالة التوحيد للناس؛ لأن هذه الرسالة أعظم حقيقة في الكون، ولذلك كان لها العناية الكاملة في القرآن الكريم.

ومن أساليب القرآن في تقرير عقيدة التوحيد (ضرب الأمثال) لتقريب المعاني إلى الذهن، وتوضيحه في القلب، وربطها بالواقع، وإبطال الشرك، وهذه الأمثال تبين قبح الشرك وحقارة أعمال المشركين، فمن الأمثال ما جاء به تعجيزه سبحانه للآلهة المشركين، أو تسفيه المشركين الذين يعبدون غير الله، وفيها أيضاً بيان عاقبة المشركين الذين يعبدون غير الله تعالى، وبيان مآلهم مع معبودهم.

وجاءت الأمثال المضروبة في القرآن وصف لحال المؤمن وما يحصل له من السعادة والطمأنينة، وحال الكافر وما يصيبه من الشقاء والضيق والحيرة، وبطلان أعمالهم في الآخرة.

كلمات مفتاحية: أمثال، أعمال، المشركين، الشرك، هباءً منثورًا، الآخرة،

Abstract

Quranic proverbs struck in the works of polytheists

The doctrine of monotheism is the basis that separates faith and polytheism, and the Holy Quran has devoted special care in clarifying that fully. Given that the Islamic structure is based upon it, several techniques are used in the Holy Quran to deliver the message of monotheism to all humankind since it is the universe greatest fact .

One of the Holy Quran's techniques in stating the doctrine of monotheism is the use of parables. Parables function as tools that facilitate people's understanding of the concept, make the unfamiliar appear familiar, consolidate the relevance between the concept and real life, and abolish polytheism. Hence, such parables have succeeded in pointing up the hideousness of polytheism and the obsequiousness of the polytheists' acts as in some of them we find God proving the incapability of polytheists deities. In others, we find Him proving polytheists wrong, and promising them as well as their deities inevitable punishment .

Furthermore, the Holy Quran's parables mention two groups of people. The first group is the believers who will be rewarded for their faith and will live in happiness and serenity. The second group is the unbelievers, who denied God's existence. Those will be punished, will live in misery, and will not benefit of their own deeds as they will be deemed in vain .

Key words: parables, deeds, unbelievers, polytheism, in vain, Hereafter, the sincerity.

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه.

أما بعد:

قال تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا

جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}{آل عمران: 19]

فلا سعادة حقيقية للفرد ولا للمجتمع إلا باتباع العقيدة الصحيحة التي ارتضاها لعبادة
وحاجة الإنسان إليها أعظم من حاجته إلى الطعام والشراب، فيها تحيا القلوب وتطمئن النفوس
وتصح الإبدان وعلى صحتها تكون النجاة عند الله في يوم القيامة.

تحدث القرآن الكريم عن أساس قبول العمل في الآخرة وأنه مرتبط بالإخلاص والمتابعة
للسلوة صلى الله عليه وسلم، وعليه فإن أعمال المشركين مرفوضة عند الله ولا تتفهم شيئاً، مما
يوجب على المرء المسلم أن يحرص على آخرته وقبول العمل فيها.

أهمية البحث

1. بيان أهمية الامثال في بيان عمل المشرك وأن أعمالهم لما لم تقم على التوحيد جعلها الله
هباء منثورًا.

2. إظهار الحكمة من ذكر الأمثلة في القرآن وقد أشار القرآن لذلك (ويضرب الله الأمثال للناس
لعلهم يتذكرون).

3. مما يزيد الأمر أهمية أن الله قد امتدح من عقل الأمثال الواردة في كتابه الكريم قال تعالى:

{وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}{العنكبوت: 43}

الدراسات السابقة

كتبت في الأمثال القرآن عموماً كتب متعددة:

من القديم:

1- أمثال القرآن، الجنيد بن محمد بن الجنيد القواريري (ت: 298هـ)، ويبدو أن

الكتاب فُقد.

2- الأمثال في الكتاب والسنة، الحكيم الترمذي، (ت: 318هـ).

3- أمثال القرآن، أبو عبدالله إبراهيم بن محمد بن عرفه المعروف بنفطويه (ت: 323هـ).

من الحديث:

1- الأمثال في القرآن الكريم للباحث محمد جابر الفياض، والفرق بينها وبين دراستي هو أن

الباحث عمل على المقارنة مع أمثال العهدين القديم والجديد، ثم تحدث عن المثل وما يتعلق

به وعلاقة المثل بالحكمة والتشبيه والقصة، وتعريف بالأمثال القرآنية، وعرض تحليل طائفة

من أمثال القرآن، وبينما لم يتعرض لموضوع العقائد في القرآن.

2- الأمثال القياسية الضرورية للإيمان بالله، للكاتب عبد الله الجربوع، ولقد صدر عام 1424هـ.

- والفرق بين بحثي وهذا الكتاب أنه لم يتعرض للعقائد التي ناقشتها الأمثال وعملت على

ترسيخها، أما بحثي فقد قام على تفصيل الأمثال العقدية المتعلقة بأعمال المشتركين.

وهناك مؤلفات حديثة درست الأمثال من جوانب متعددة منهم من سار على طريقة المفسرين في

ذكر معاني المفردات والمعنى الإجمالي للمثل ككتاب (الأمثال في القرآن الكريم. د. منصور

العبدلي).

منهجية البحث

اتبعت المنهج الاستقرائي التحليلي ومن أجل تحقيق هذا المنهج سلكت الخطوات التالية:

- جمع الآيات المتعلقة بالموضوع.
- دراسة الآيات من كتب التفسير المعتبرة.
- قمنا بالرجوع إلى كتب العقيدة.

خطة البحث

قمت بتقسيم البحث إلى خمسة مباحث فجاءت كالاتي:

المبحث الأول: تعريف المثل ودورها في بيان معاني العقيدة

أولاً : تعريف المثل لغة واصطلاحاً

ثانياً: دور الأمثال في بيان معاني العقيدة والتعريف بها

المبحث الثاني: مثل أعمال الكافرين بالرماد

المبحث الثالث: مثل إنفاق الكفار بالزرع الذي أصابته الريح لشدته

المبحث الرابع: مثل أعمال الكفار بالسراب

المبحث الخامس: أهمية التوحيد في قبول الأعمال

وخاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: تعريف المثل لغة واصطلاحاً

أولاً: معنى المثل في اللغة:

تشير معاجم اللغة إلى دلالة كلمة المثل على معان عدة:

فهي بمعنى الشبه (يقال هذا مثله ومثله كما يقال: شَبَّهه وشَبَّهه بمعنى واحد)⁽¹⁾ وقال ابن فارس (الميم والتاء واللام أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا أو نظيره والمثل والمِثْل بمعنى واحد)⁽²⁾ وهي أيضاً بعض الصفة⁽³⁾ كما في قوله تعالى: { ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ } [الفتح: 29] وبمعنى العبرة⁽⁴⁾ كما في قوله تعالى: { فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ } [الزُّرُف: 56] كما تأتي بمعنى كلمة الآية⁽⁵⁾ كما في قوله تعالى: { إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ } [الزُّرُف: 59].

(1) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، (ت: 711هـ)، دار صادر، ط3، 1414هـ، مادة مثل، 612/11.
(2) الرازي، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، (ت: 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ- 1979م، مادة مثل، 296/5.
(3) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، (ت: 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا، دار العلم للملايين، بيروت، 1404هـ- 1987م، مادة مثل، 1816/5.
(4) ابن منظور، لسان العرب، مادة مثل، 612/11.
(5) ابن منظور، لسان العرب، مادة مثل، 612/11.

ثانياً: المثل في الاصطلاح

أ. "كل حكمة سائرة تعتبر مثلاً وتفيد التماثل بين الشيئين في الكلام"⁽⁶⁾ وقد ذكر جعفر السبحاني معنى المثل إذ قال: (ويظهر من غير واحد من المعاجم كلسان العرب والقاموس المحيط، إن للفظ المثل معاني مختلفة كالنظير والصفة والعبارة، مما يجعل مثلاً لغيره يُخذاً عليه إلى غير ذلك من المعاني)⁽⁷⁾.

ب- يقول العسكري: كل حكمة سائرة تعبر مثلاً وتفيد التماثل بين الشيئين في الكلام⁽⁸⁾.

وقيل هو القول السائر المشبه مضربه بمورده"⁽⁹⁾، أي هو تشبيه شيء بشيء في حكمة وتقريب المعقول أي من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر⁽¹⁰⁾.
ولقد وردت عدة تعاريف للمثل، غير أن الأستاذ سميح الزين رجح التعريف الأخير في كتابة الأمثال والمثل والتمثيل والمثالات في القرآن الكريم⁽¹¹⁾.

وهذا ما أرجحه وذلك لأنه أشمل التعاريف، وهو يتفق مع المعنى اللغوي، إذ إن من معاني المثل اللغوي القول السائر، وهو أن يُشَبَّه حال الشيء بحال شيء آخر مماثل له، وقد قيل

(6) الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب، (ت: 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط1، 1412هـ، ص 463.

(7) جعفر السبحاني (معاصر) الامثال في القرآن، ، ط1، 1420هـ، قم اعتماد، قم مؤسسة الإمام الصادق، ص 5

(8) العسكري، أبو هلال (ت: 395هـ) جمهرة الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الفكر، بيروت، ط2، 1988م، 7/1.

(9) اليوسي، الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي نور الدين (ت: 1102 هـ) زهرة الاكم في الأمثال والحكم، تحقيق: محمد الأخضر، محمد الحجي، دار الثقافة، المغرب، ط1، 1401هـ - 1981م، ج1، ص 20

(10) ابن القيم، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر الدمشقي (ت: 751 هـ) الأمثال في القرآن، تحقيق: إبراهيم محمد، مكتبة الصحابة، طنطا، ط1، 1406هـ، 9/1.

(11) الزين، سمح عاطف، الأمثال والمثل والتمثيل والمثالات في القرآن ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1416هـ، ص 17.

المثل من أجله، أي بمعنى آخر كما قال الحكيم الترمذي: "فقابل الشيء بالشيء حتى نفهمه"⁽¹²⁾
وهذا ما ورد في التعريف الأخير وهو الراجح والله أعلم.

ثانياً: دور الأمثال في بيان معاني العقيدة والتعريف بها

تدور جُل أمثال القرآن على تجلية وتقريب المعاني العقيدة، وعلى الاحتجاج لها بما يبطل شبهات المشككين، ويدحض افتراءات المغرضين، وقد شملت هذه الأمثال تقرير وحدانية الله ونفي استحقاق غيره للعبادة بتزييف عبادة الأنداد لهوانهم وعجزهم، وفضح سوء صنيع المشركين في الأمثال القرآنية جزء من البيان الإلهي تصحح العقيدة، وتقييم الحجة، وتدحض الشبهة، وترغب في الخير وتغري به، وتحذر من الشر وتزجر عليه، وتشرح الغيب وتقرر به، وتحيل المنتظر إلى منظور وتكشفه، كما أنها ترسم طريق السعادة، وأسباب الهداية.

يقول الزركشي: "وفي ضرب الامثال من تقرير المقصود مالا يخفى، إذ الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والشاهد بالغائب، فالمرغب في الإيمان - مثلاً - إذا مثل له بالنور تأكد في قلبه المقصود، والمزهد في الكفر إذا مثل له بالظلمة تأكد قبحه في نفسه، وفيه تبييت الخصم، وقد أكثر الله تعالى في القرآن، وفي سائر كتبه من الأمثال"⁽¹³⁾.

بل لقد أشاد القرآن نفسه بأمثال القرآن، قال تعالى: ﴿لَوْلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ

مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[الكهف: 54]

وغايات الأمثال في القرآن يكشف عنها القرآن:

(12) الحكيم الترمذي، أبو عبد الله محمد بن علي (ت: 320 هـ)، الأمثال من الكتاب والسنة، تحقيق: د. السيد الجميلي، دار ابن زيدون، دار اسامة، بيروت، دمشق، 196/1.

(13) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن محمد (ت: 471 هـ)، أسرار البلاغة، مكتبة القاهرة، 1399 هـ -

1. التذکر، قال تعالى: {تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ

يَتَذَكَّرُونَ}{إبراهيم: 25}

2. التفکر قال تعالى: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ

الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}{الحشر: 21}

3. هداية للمؤمنين ويضل عنها الفاسقين، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا

بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا

أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ}{البقرة: 26}

4. قطع عذر الكافرين، قال تعالى: {وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ

فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ}{إبراهيم: 45}

5. الترغيب والترهيب، قال تعالى: {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا

رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ

وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ

الْأَمْثَالَ}{الرعد: 17}

6. يعقلها العالمون ويتأثرون بها، قال تعالى: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا

الْعَالِمُونَ}{العنكبوت: 43}

يؤكد القرآن الكريم على الربط بين التفكير والتذكر والفقہ والعلم من جهة وبين الأمثال

من جهة أخرى، وذلك لما تحفل به هذه الأمثال من الأدلة والبراهين وما تحويه من الحقائق

والمعارف.

وقد أخبر الله تعالى بأن ضرب الأمثال سنته في الأمم فقال تعالى: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ

الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾[الفرقان: 39] ولا يزال العلماء والباحثون يتحدثون عن مزايا الأمثال

وجمالها قال أبو عبيد القاسم بن سلام: "يجتمع المثل ثلاث خلال: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه"⁽¹⁴⁾ فعلى المرء المسلم أن يحرص على آخرته وقبول العمل فيها.

(14) الهروي، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله، (ت: 324هـ)، الأمثال، تحقيق: د. عبد المجيد قطاش، دار
المأمون للتراث، ط1، 1400هـ - 1980م، 34/1.

المبحث الثاني

مثل أعمال الكافرين الرماد

ضرب الله مثلاً لأعمال المشركين والكافرين وخيبتهم فيها إذ لا ينتفعون بشيء منها بالرماد، وهو ما يبقى من احتراق الحطب والفحم⁽¹⁵⁾، فالله تعالى يحق أعمال الكافرين كما تمحق الريح الشديدة الرماد في يوم عاصف.

قال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ⁽¹⁶⁾ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ}{إبراهيم: 18}

قال ابن القيم: (شبه الله تعالى أعمال الكفار في بطلانها وعدم الانتفاع بها برماد مرت عليه ريح شديدة في يوم عاصف، فشبهه سبحانه أعمالهم في هبوطها وذهابها باطلاً كالهباء المنثور، لكونها على غير أساس من الإيمان والإحسان، وكونها لغير الله عز وجل غير أمره، برماد طيرته الريح العاصف فلا يقدر صاحبه على شيء منه وقت شدة حاجته إليه، فلا يرون له أثراً من ثواب ولا فائدة.

(15) الرماد: هو دقيق الفحم الذي ينتج من حرقه في النار وما خبا من الجمر فطار دقيقاً وقبل هو كل ما سحقته النار فصار رماداً. انظر: ابن منظور، لسان العرب 3/185، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، (ت: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن- تفسير القرطبي- تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964م، 9/100.

(16) "اشتدت به الريح" حملته الريح في يوم شديد عاصف، وضربته الريح فلم ير منه شيء، أي من ذلك الرماد ولم يبق من أثر. انظر الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأمالي أبو جعفر، (ت: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م، 16/555، السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين، (ت: 911هـ)، الدر المنثور، دار الفكر، بيروت، 5/17.

وفي تشبيهها بالرماد سر بديع، وذلك للتشابه الذي بين أعمالهم وبين الرماد في إحراق النار، وإذهابها لأصل هذا وهذا، فكانت الأعمال التي لغير الله وعلى غير مراده طعمةً للنار، وبها تسعر النار على أصحابها، وينشئ الله سبحانه لهم من أعمالهم الباطلة نارًا وعذابًا، كما ينشئ لأهل الأعمال الموافقة لأمره ونهيه التي هي خالصة لوجهه من أعمالهم نعيمًا وروحًا، فأثرت النار في أعمال أولئك حتى جعلتها رمادًا، فهم وأعمالهم وما يعبدون من دون الله وقود النار" (17)

وهؤلاء الكفار يعملون أعمال برّ كثيرة، ويتعبدون أيضًا، ولكنها عبادة باطلة ما أنزل الله بها من سلطان، ويتصدقون ويفعلون كثيرًا من أمور الخير، لكنها لا تنفعهم لأنهم كفار، ومن شرط التقرّب إلى الله تعالى: أن يكون المتقرب إلى الله مسلمًا، وهؤلاء غير مسلمين (18).

وهو تشبيه لأعمال الكفار في بطلانها وضياح قيمتها وعدم انتفاع أصحابها في الآخرة، وخيبة ظنهم، بالرماد الذي تطاير وتلاشى بفعل الريح العاصفة، فيما صاحبه عاجز عن تحصيل شيء منه يستحيل عليه الاستفادة منه كاستحالة جمع الرماد الذي تطاير مع الريح العاصف (19).
ففي المثل تقريب لهذه الحقيقة الغيبية، يعرضها بصورة محسوسة، لتكون أوضح وأوقع في النفس.

يقول الشوكاني: ضرب الله سبحانه هذه الآية مثلًا لأعمال الكفار في أنه يمحّقها كما تمحق الريح الشديدة الرماد في يوم عاصف (20).

(17) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (ت: 751هـ)، إلام الموقعين، تحقيق:

محمد عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ - 1991م، 1/131.

(18) محمد العثيمين، شرح كشف الشبهات، دار الثريا، الرياض، ط1، 1416هـ، 1/20.

(19) سيد قطب، في ظلال القرآن، 2094/4، وانظر: عبد الرحمن النحلاوي، التربية بضرب الأمثال، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1422هـ، ص 22.

ثم إنه لا فرق بين الكافر وعمله فعمله منه، ويدل عليه، ويرشد إلى باعته، " فالأعمال التي لا تقوم على قاعدة الإيمان، ولا تمسكها العروة الوثقى التي تصل العمل بالباعث، وتصل الباعث بالله مفككه كالهباء والرماد، لا قوام لها ولا نظام، فليس المعول عليه هو العمل، ولكن باعث العمل، فالعمل حركة آلية لا يفترق فيها الإنسان عن الآلة إلا بالباعث والقصد والنية"⁽²¹⁾.
ولقد بين المثل أنه لا جزاء على عمل ولا قيمة له إلا أن يرتبط بمنهج الإيمان والإخلاص، وإلا أن يكون باعته الإيمان وإرضاء الله تعالى، وأن حسن القصد غير معتبر في قبول الأعمال إذا خالفت شروط الإخلاص.

(20) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله، (ت: 1250هـ)، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم

الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1414هـ، 121/3.

(21) سيد قطب، في ظلال القرآن، 2094/4

المبحث الثالث

مثل إنفاق الكفار بالزرع الذي أصابته الريح لشدته

ضرب الله مثلاً لبطلان نفقات الكفار والمشركين وأعمالهم التي يرون أنها نافعة لهم في الدنيا والآخرة؛ حيث ضرب الله مثلاً: ريحاً باردة شديدة البرودة أصابت زرع أناس كاد يُحصد وهم به فرحون، فأفسدته تلك الريح، فلم ينتفعوا بشيء منه، قال تعالى: {مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ⁽²²⁾ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ}{آل عمران: 117}

ضرب الله مثلاً لما ينفقه الكفار والمشركون من أموالهم التي يصدون بها عن سبيل الله ويستعينون بها على إطفاء نور الله، بأنها تبطل وتضمحل، كمن زرع زرعاً يرجو نتيجته ويؤمل إدراك حصاده، فبينما هو كذلك إذ أصابته ريح فيها برد شديد محرق فأهلكت زرعته ولم يحصل له إلا التعب والأسف، فكذاك هؤلاء الكفار الذين قال الله عنهم: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ}{الأنفال: 36}

(22) والصر فيها ثلاث تأويلات: الأول: البرد الشديد، والثاني: قيل النار، والثالث: قيل الصوت الذي يصحب الريح من شدة هبوبها.

1- انظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، (ت: 450هـ)، تفسير الماوردي- النكت والعيون- تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1/، 418 والقرطبي في تفسيره 178/4 والطبري 134/7 وقد جمع ابن القيم بين الأقوال الثلاث فقال: الأقوال الثلاث متلازمة: فهو برد شديد محرق يبسه للحرث، كما تحرق النار، وفيه صوت شديد. انظر: ابن القيم، الأمثال في القرآن، تحقيق: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد مكتبة الصحابة، مصر طنطا، ط1، 1986م، ص 54.

قال ابن القيم: هذا مثل ضربه الله تعالى لمن أنفق ماله في غير طاعته ومرضاته؛ فشبه سبحانه ما ينفقه هؤلاء من أموالهم في المكارم والمخاطر، وكسب الثناء، وحسن الذكر لا يبتغون به وجه الله، وما ينفقونه ليصدوا به عن سبيل الله وإتباع رسله، بالزرع الذي زرعه صاحبه يرجو نفعه وخيره، فأصابته ريح شديدة البرد جداً، يحرق بردها ما يمر عليه من الزرع والثمار، فأهلك ذلك الزرع وأيبسته، وفي تعالى قوله: {مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ} [آل عمران: 117]

(23)

يقول الرازي: وحاصل المثل أن كفرهم يبطل ثواب نفقاتهم كما أن الريح الباردة تهلك الزرع⁽²⁴⁾. وهذا اختيار أبي عبد الله النسقي، وزاد: أو مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح⁽²⁵⁾

ولقد عبّر عن إهلاك الريح باللفظة القرآنية [صر] [واللفظة ذاتها كانها مقذوف يُلقى بعنف فيصور معناه بجرسه النفاذ]⁽²⁶⁾.

إنها كلمة لا يسد غيرها مسدّها في المعجم بهذه الدلالة الصوتية الخاصة لما تحمله من وقع تَصْطَكْ له الإنسان، ويشتدّ معه اللسان، فالصا الصارخة مع الراء المضعفة قد وُلِّدَتْ جرساً يُضفي صيغة القرع وصورة الرهبة، فلا الدفء يُستنزَل، ولا الوقاية تتجمع بما يزلزل وقعه كيان أي إنسان⁽²⁷⁾.

(23) ابن القيم، الامثال في القرآن، 1/ 53.

(24) مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر الحسن بن الحسين الرازي، دار الفكر، 1401هـ، 336/8

(25) مدارك التنزيل، أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي، تحقيق: مروان محمد الشفار، دار النفائس، بيروت، 2005م، ج1، ص 285.

(26) سيد قطب، في ظلال القرآن، 451/2.

(27) محمد حسين علي الصغير، الصورة الفنية في التمثل القرآني، دار الرشيد، 1981م، ص 240

وعلى كلِّ (فالمقصود من التشبيه حاصل، سواء أكان بردًا مهلكًا، أو حرًّا محرِّقًا فإنه يصير مبطلاً للحرث والزرع⁽²⁸⁾). واختلفوا في المراد بأعمال الكافرين فمنهم من قال: بأنها أعمال البر كالصدقة وصلة الرحم، ومنهم من قال: إن المراد بالأعمال عبادتهم للأصنام وما تكلفون من كفرهم، والذي ظنوه إيمانًا وطريقًا إلى الخلاص، وثالث قال: إن المراد من الأعمال كلا القسمين⁽²⁹⁾ والسياق يرجح الأول على ما يبدو والله أعلم.

وقيل إن هذا المثل مضروب لأعمال الكفار كلها ليس للنفقة فحسب، وإنما خص النفقة بالذكر لكونها أظهر وأكثر⁽³⁰⁾.

ويقول الزحيلي: وخص الأموال والأولاد بالذكر⁽³¹⁾ لأن الإنسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال، وتارة بالاستعانة بالأولاد لأنهم أقرب أنسابهم إليهم⁽³²⁾.

أخيرًا : ضرب الله لنا هذا المثل ليقرب صورة حال الكافرين لنا يوم القيامة حيث شبههم بإنسان حرث الأرض وزرعها وبعد ذلك أصابها ريح فيها صر (وهو برد شديد محرق)، فهذا الإنسان لم يحصل على نتيجة إلا التعب والعناء⁽³³⁾.

⁽²⁸⁾ الرازي، مفاتيح الغيب، 338/8.

⁽²⁹⁾ عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، (ت: 1393م)، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، دار التونسية للنشر والتوزيع، 1984م، 5/ 187.

⁽³⁰⁾ القرطبي، 178/4، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، (ت: 450هـ)، تفسير الماوردي- النكت والعيون- تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 418/1، وانظر: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت: 502 هـ)، تفسير الراغب الاصفهاني، تحقيق ودراسة محمد عبد العزيز بسبوني، الناشر: كلية الآداب، جامعة طنطا، مصر، ط1، 1999م، 2/ 816.

⁽³¹⁾ وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ [آل عمران: 10]

⁽³²⁾ وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418هـ، 187/14

(33) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، (ت: 1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، 1420هـ - 2000، ، 1/144.

المبحث الرابع

مثال أعمال الكفار بالسراب والظلمات

قال تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ * أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ} [النور: 39 - 40]

السراب: هو الذي يجري على وجه الأرض كأنه الماء وهو الشعاع الذي يُرى نصف النهار عند شدة الحر في البراري⁽³⁴⁾.

وقوله: "بقيةة": وهي جمع قاع كالجيرة جمع جار، والقاع ما انبسط من الأرض واتسع وفيه يكون السراب نصف النهار.

والقاع: الأرض الحرة الطين التي لا يخالطها رمل فيشرب ماءها وهي مستوية ليس فيها ارتفاع، وإذا خالطها رمل لم تكن قاعاً لأنها تشرب الماء فلا تمسكه، ويُصَغَّرُ على قويعه⁽³⁵⁾.

⁽³⁴⁾ ابن منظور، لسان العرب 4601/1. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، (ت: 606هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: الشيخ يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط5، 1420هـ - 1999م، ص145، وقيل السراب: ما تراه نصف النهار كأنه ماء، وانظر: الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، (ت: 817هـ) القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوس، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1426هـ - 2005م، 96/1.

⁽³⁵⁾ ابن منظور، لسان العرب 304/8، الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهر، (ت: 370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م، 33/3، والسيوطي، الدار المنشور 210/6. وصف السراب بوصفين: بقيةة، ليتراءئ فيوهم ويخدع، ويحسبه الظمان ماء لبيبرز شدة الاحتياج إليه، فالظمان العطشان الشديد العطش وتخصيصه لتشبيه الكافر به شدة الخيبة عند مسيس الحاجة إليه. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: 685 هـ) أنوار

وقوله يحسبه الظمان ماء: هو العطشان من الناس الذي اشتد عطشه فرأى السراب فظنه ماء فلما أتاه لم يجده شيئاً⁽³⁶⁾.

هذا مثل ضربه الله للكفار وأعمالهم الذين يحسبون أنهم على شيء من الاعتقادات، وهم ليسوا كذلك، فمثلهم في ذلك كالسراب الذي يُرى على الأرض المنبسطة من بعد كأنه بحر، والسراب شعاع أبيض يُرى في نصف النهار وكأنه ماء، فإذا رأى السراب من هو محتاج إلى الماء يحسبه ماءً فيقصده ليشرب منه، فإذا وصل إليه لم يجده شيئاً، وكذلك الكافر يحسب أنه قد عمل عملاً، وأنه قد حصل شيئاً، فإذا وافى الله يوم القيامة وحاسبه عليها، ونوقش على أفعاله لم يجد له شيئاً قد قُبِل، إما لعدم الإخلاص، أو لعدم إتباع الشرع، وصدق الله تعالى: {لَوْ قَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ نَبْءَ مَنثورًا} [الفرقان: 23]⁽³⁷⁾.

قال أبي بن كعب: "الكافر يتقلب في خمسة من الظلم، فكلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره يوم القيامة إلى ظلمات النار"⁽³⁸⁾.

لقد بين تعالى في هذين المثليين من سورة النور أن أعمال الكفار باطلة، وأن الكافرين واقعون في أربع ظلمات وهي:

1. ظلمة البحر اللجّي وهي ظلمة الطبيعة التي لا خير فيها.

2. ظلمة الأمواج المتراكمة وهي ظلمة الكفر.

التنزيل وأسرار التأويل. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط

1418هـ، 4 / 1096

⁽³⁶⁾ الطبري تفسيره 19 / 195.

⁽³⁷⁾ إعلام الموقعين 157/1 - 158 بتصرف

⁽³⁸⁾ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (ت: 774هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب

العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ، 5/65.

3. ظلمة السُّحب المُدلهمة وهي ظلمة الجهل.

4. ظلمة الليل البهيم وهي ظلمة الأعمال الصادرة عما ذكر.

قال الإمام السعدي معلقاً على هذه الظلمات: "بحيث أنّ الكائن في تلك الحال إذا أخرج يده لم يكن يراها مع قربها إليها فكيف بغيرها، فبقوا في الظلمة متحرّين، وفي غمرتهم يعمهون، وعن الصراط المستقيم مدبرين، وفي طرق الغي والضلال يترددون، وهذا لأن الله خذلهم فلم يعطهم من نوره (ومن لم يجعل الله نوراً فما له من نور) لأنّ نفسه ظالمة جاهلة، فليس فيها من الخير والنور، إلا ما أعطاه مولاها، ومنحها ربها، ويحتمل أن هذين المثالين، لأعمال جميع الكفار، كل منهما، منطبق عليها، وعددهما لتعدد الأوصاف، ويحتمل أنّ كلّ مثال، لطائفة وفرقة فالأول، للمتبوعين، والثاني، للتابعين، والله أعلم"⁽³⁹⁾.

والمتأمل في النظم الكريم يجد أنه بدأ بالجمع "الذين كفروا" ثم وحد الضمير بعد ذلك "ووجد الله عنده فوفاه حسابه" لأن الكفر جمعهم، أم الحساب والخيبة فكل واحد منهم يجد الآمها، ويشعر بمرارة الخيبة فرداً، يقول النسفي: "وحد بعد تقدم الجمع حملاً على كل واحد من الكفار"⁽⁴⁰⁾.

⁽³⁹⁾ السعدي، تيسير الكريم الرحمن، 569/1

⁽⁴⁰⁾ أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: 710 هـ) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدمه له: محي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419 هـ - 1998م، 2 / 509

المبحث الخامس

أهمية التوحيد في قبول الأعمال

إن من شروط قبول الأعمال الصالحة في الدنيا، التوحيد والإخلاص، فلا يقبل الله من العباد أعمالهم إلا بالتوحيد، فهو سبحانه يقبل من الموحد عمله الصالح وإن كان قليلاً، وتضل وتضيع عمل المشرك وإن كان كثيراً.

ولا شك أن الشرك يبطل العبادة، ويبطل سائر الأعمال، ولا يصحُّ معه عمل، فلا قيمة لأعماله مع الشرك، فمهما تكلف وأتعب الإنسان نفسه بالعبادات، إذا كان عنده شيء من الشرك الأكبر فإن عبادته تكون هباءً منثوراً فقال تعالى: {ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام: 88] وقال تعالى: {وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا} [الفرقان: 23] أي بطل ثواب عمله الذي كان يعمل في الدنيا يرجو أن يدرك به منزلة عند الله تعالى، وهو في الآخرة من الخاسرين الهالكين الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من ثواب الله بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وعملهم بغير طاعة⁽⁴¹⁾

وقوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: 110] أي خالصة لوجه الله تعالى⁽⁴²⁾.

(41) تفسير الطبري، 592/9.

(42) الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع، (ت: 211هـ)، تفسير الصنعاني، تحقيق: محمود محمد عبده دار الكتب العالمية، بيروت ط1، 1419هـ، 1414/2هـ، وانظر: الطبري، تفسير الطبري

فلا بد من تجريد الإخلاص لله وحده، ولا بد من تجريد المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم، فلو وجد العمل صالحاً مبنياً على السنة وفقد فيه شرط الإخلاص لم يقبل⁽⁴³⁾.

يقول ابن كثير معلقاً على قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ}{آل عمران:

[91]

يقول: الكافر يحسب أنه قد عمل عملاً وأنه قد حصل شيئاً، فإذا وافى الله يوم القيامة وحاسبه عليها، ونوقش على أفعاله، لم يجد شيئاً بالكلية قد قبل، إما لعدم الإخلاص، وإما لعدم سلوك الشرع كما قال تعالى: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا}{الفرقان:
[23]⁽⁴⁴⁾.

ولقد ركز القرآن على بيان شروط قبول العمل الصالح في آيات متعددة منها: {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا} * وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا}{النساء: 124 - 125}

يقول ابن كثير: إن الله في هاتين الآيتين شرع في بيان إحسانه وكرمه ورحمته في قبول الأعمال الصالحة من عباده، ذكرانهم وإناتهم بشرط الإيمان.

(43) عواد بن عبد الله المعتق، شرط لا إله إلا الله، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة 1414هـ، ص428،
وعبد المحسن بن حمد العباد البدر، قطف الجنى الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني، دار
الفضيلة الرياض، ط1، 1423هـ، ص59.

(44) تفسير ابن كثير، 297/3.

ثم قال "ومن أحسن ديننا ممن أسلم وجهه لله" أي أخلص العمل لربه عز وجل فعمل إيماناً واحتساباً "وهو محسن" أي اتبع في عمله ما شرعه الله، وما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق، وهذان الشركان لا يصح عمل عامل بدونهما أي يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون متابعاً للشريعة فيصح ظاهره بالمتابعة وباطنه بالإخلاص فمتى فقد العمل أحد هذين الشرطين فسد⁽⁴⁵⁾.

إن أهمية التوحيد تظهر في أن القرآن كله يدور حول التوحيد والشرك وعقاب المشركين وثواب الموحدين، وهو الغاية من خلق الله للخلق، ومن إرسال الرسل، وكذلك هو شرط لصحة العبادة، وإنَّ التوحيد هو طريق الهدى والصراط المستقيم الموصل إلى قبول العمل والوصول إلى الجنة.

لقد دلّ قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[البقرة: 264] على بطلان أعمال الكفار التي عملوها على غير هدى من الله، والتي فقدت شروط الصحة، وإن كان ظنهم بأن أعمالهم حق لأن فاعلها غير موحد ولا مخلص ولا متابع لرسول الله نفسه.

عن السيدة عائشة قالت: يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويُطعم

المسكين فهل ذاك نافعه.

(45) تفسير ابن كثير، 373/2.

قال: لا ينفعه إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين⁽⁴⁶⁾.

وللإمام الرازي كلام ثمين في بيان أنّ الكفر يبطل العمل وذلك عند قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَأَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ} [إبراهيم: 18]

قال الرازي معقّباً على هذه الآية من وجهين:

الوجه الأول: هو أن الريح العاصف تُطَيّر الرماد وتفرق أجزاءه بحيث لا يبقى لذلك الرماد أثر ولا خبر، فكذا ههنا فكفرهم أبطل أعمالهم وأحبطها، بحيث لم يبق من تلك الأعمال معهم خبر ولا أثر.

الوجه الثاني: وفي تشبيهها بالرماد سر بديع وبذلك للتشابه الذي بين أعمالهم وبين الرماد في إحراق النار وإذهاؤها لأصل هذا وهذا، فكانت الأعمال التي لغير الله عز وجل، وعلى غير مراده طعمة للنار، وبها تسعر على أصحابها وينشئ الله لهم من أعمالهم الباطلة ناراً وعذاباً تتناسب مع ما قدموه من أعمال⁽⁴⁷⁾.

وهذا لا يعني عدم أهمية العمل الصالح، ولكن العقيدة هي الأصل والباقي فروع، فإذا ثبت الأصل واستقر فإن الفروع تكون تابعة ومكملة له، ولا شك أن من حافظ على الأصول

(46) النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، (ت: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، صحيح مسلم، باب الدليل على أن مات على الكفر لا ينفعه عمل، ح214، 196/1.
(47) الرازي، التفسير الكبير، 81/19. وانظر: ابن القيم، الأمثال في القرآن 34/1.

حرص على الفروع، وكما قال الإمام ابن تيمية: فإن وجود الفروع الصحيحة مستلزم لوجود الأصول⁽⁴⁸⁾.

فمن عرف الله حق المعرفة فسوف يبادر إلى عمل الطاعات والأعمال الصالحة، ويبتعد عن السيئات، إذًا فخلاصة القول إن الأصل الأصيل للدين هو العقيدة.

وفي خاتم هذه الدراسة تظهر لنا النتائج التالية:

1. للعقيدة أهمية كبرى في الإسلام إذ إنها أصل الدين وأنها من ضروريات الحياة، وعليها مدار الفوز في الدنيا والآخرة.

2. إن الله يضرب الأمثال من باب قيام الحجة على الناس حيث ضرب الأمثال فيما يتعلق بأعمال المشركين وقبولها عند الله من عدمه.

3. إن أعمال الناس ستعرض على الله تعالى، وللأعمال شروط حتى تُقبل - عدم المن والأذى في العمل، وأن يكون العمل خالصًا لله يُراد به وجه الله، وتثبيت النفس على الإيمان ويكون موافقًا للشرع ومال يرضى الله تعالى، فمن تحققت هذه الشروط في أعماله، فإن الله يقبل العمل ويضاعفه.

4. إن العبد إذا لم يكن مؤمنًا وكان كافرًا فإن الله تعالى لن يقبل من عمله شيئًا ولو كان ملء الأرض ذهبًا، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ

أَفْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾[آل عمران: 91]

(48) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلِيم، (ت: 728هـ)، مجمع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد قاسم، مجمع الملك فهد، السعودية، 1416هـ - 1995م، 2 / 382.

فالكفر لا أصل له ولا فرع، ولا يصعد للكافر عمل، ولا يتقبل منه شيء فالله لا يظلم عباده فالكفار يُجازون على أعمالهم في الدنيا من سمعة أو مكسب مادي ويخسرون في الآخرة.

وبعد ما استخلصت هذه النتائج نوصي:

1. استخدام الأمثال القرآنية لتقريب الدروس والعقائد لعقول الناس.
2. الاهتمام بالعقيدة الصحيحة إذ عليها مدار قبول العمل والنجاة في الدنيا والآخرة.
3. التوصية بالتعمق في دراسة أمثال القرآن والسنة وأسلوبهما، من أجل الوصول إلى ما فيهما من مناجم السبل النافعة في التعليم والتربية، وبلورتها في منهج واضح يُساعد على الانتفاع بها.

ففي جَمْع أمثال القرآن والسنة التي تتعلق بموضوع من موضوعات عالم الغيب أو نحوهما من موضوعات العقيدة في صعيد واحد، وتحليلها ما يُجلي الموضوع ويعرضه بصورة واضحة.

4. التوصية بالحرص على استخدام أسلوب ضرب الأمثال في التعليم وفي الدعوة، وفي كل وسائل التربية والتثقيف والإعلام بصورة عامة، لما لهذا الأسلوب من مزايا كالقدرة على التوضيح والتأثير وعرض الحقائق والاحتجاج لها، وذلك مع ما فيها من الإيجاز الذي يفعل الإطناب، فإن ما يحمله المثل من المعاني يفوق بكثير قدرة ما يعادله في الحجم من الكلام المجرد.

المراجع والمصادر

- 1- البدر، عبد المحسن بن حمد العباد ، **قطف الجنى الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني**، دار الفضيلة، الرياض، ط1، 1423هـ.
- 2- الترمذي، أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم، (ت: 320هـ). **الأمثال في القرآن والسنة**، تحقيق: السيد الجميلي، دار ابن زيدون، دار أسامة، بيروت، دمشق.
- 3- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، (ت: 728هـ). **مجمع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد قاسم، مجمع الملك فهد، السعودية، 1416هـ - 1995م.
- 4- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارابي، (ت: 471هـ). **أسرار البلاغة**، أقره وعلق عليه: محمد محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدة.
- 5- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، (ت: 393هـ). **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا، دار العلم للملايين، بيروت، 1404هـ - 1987م.
- 6- الرازي، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، (ت: 395هـ). **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
- 7- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، (ت: 606هـ). **مفاتيح الغيب - التفسير الكبير - دار إحياء التراث العربي**، بيروت، ط3، 1420هـ .
- 8- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، (ت: 606هـ). **مختار الصحاح**، تحقيق: الشيخ يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط5، 1420هـ - 1999م.
- 9- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418هـ.
- 10- الزين، سميح عاطف، **الأمثال والمثل والتمثيل في القرآن**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1416هـ.
- 11- السبحاني، جعفر، **الأمثال في القرآن**، مؤسسة الصادق، قم ، ط1، 142هـ.

- 12- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، (ت: 1376هـ). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، 1420هـ - 2000.
- 13- السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين، (ت: 911هـ). الدر المنثور، دار الفكر، بيروت.
- 14- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، (ت: 1250هـ). فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1414هـ .
- 15- الصغير، محمد حسين علي، الصورة الفنية في التمثل القرآني، دار الرشيد، 1981م.
- 16- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب، (ت: 502هـ). المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط1، 1412هـ.
- 17- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأمالي أبو جعفر، (ت: 310هـ). جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م.
- 18- عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، (ت: 1393م). التحرير والتنوير(تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية للنشر والتوزيع، 1984م.
- 19- العثيمين، محمد بن صالح بن محمد بن إبراهيم، (ت: 1421هـ). شرح كشف الشبهات، دار الثريا للنشر والتوزيع، ط1، 1416هـ - 1996م.
- 20- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهرا، (ت: 395هـ). جمهرة الأمثال، دار الفكر، بيروت.
- 21- الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، (ت: 817هـ). القاموس المحيط ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوس، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1426هـ - 2005م.

- 22- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، (ت: 671هـ). **الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي** - تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964م.
- 23-
- 24- ابن القيم ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (ت: 751هـ). **أعلام الموقعين**، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ - 1991.
- 25- ابن القيم ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (ت: 751هـ). **الأمثال في القرآن**، تحقيق: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، مكتبة الصحابة، مصر، طنطا، ط1، 1406هـ - 1986م.
- 26- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (ت: 774هـ). **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ.
- 27- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، (ت: 450هـ) . **تفسير الماوردي - النكت والعيون** - تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 28- المعتق، عواد بن عبد الله، **شرط لا إله إلا الله**، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، 1414هـ.
- 29- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، (ت: 711هـ). **لسان العرب**، دار صادر، ط3، 1414هـ.
- 30- النحلاوي، عبد الرحمن، **التربية بضرب الأمثال**، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1422هـ.
- 31- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، (ت: 710هـ) . **مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)**. حققه وخرَّج أحاديث : يوسف علي بدوي، راجعه وقدم له: محي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419هـ - 1998م.

- 32- النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، (ت: 261هـ). **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.
- 33- الهروي، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله،(ت: 324هـ). **الأمثال**، تحقيق: د عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، ط1، 1400هـ -1980م.
- 34- الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهر، (ت: 370هـ). **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.
- 35- اليوسي، الحسن بن مسعود بن محمد أبو علي نور الدين(ت: 1102هـ). **زهر الأكم في الأمثال والحكم**، تحقيق: د محمد حجي، د محمد الأخضر، الشركة الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1401هـ -1981م.